

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب



عائد من الظلام!

- الحلقة السابعة والعشرون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة السابعة والعشرون -

#بقلم: #أحلام_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة_مؤسسة_أوار_الحق



(٦٠)

بعد صلاة الفجر؛ كان كل واحد من المجاهدين يردد أذكار الصباح، وحانت التفاتة من الشيخ؛ فرأى "محمدًا" شاردًا بحزن، يتنهد وكأنه يتنفس بصعوبة، فنهض باتجاهه، ووضع يده على كتفه برفق، فانتبه "محمد" وابتسم بخجل، فقال الشيخ:

- "محمد" يا ولدي؛ هلاّ تمشينا قليلاً؟

قفز "محمد" قائلاً بخجل:

- بكل سرور يا فضيلة الشيخ، تفضل.

وسارا قليلاً دون كلام، وكان "محمد" مطرقاً برأسه حيناً، ورامياً ببصره إلى الأفق حيناً آخر، عقد الشيخ يديه خلف ظهره، وقال مبتسماً:

- ما بك يا بني؟

زفر "محمد" ثم قال:

- إنني سعيد بما آلت إليه أمور حياتي بفضل الله تعالى، ولكن..

وتوقف عن السير، والتفت إلى الشيخ الذي توقف بدوره، وقال بحزن:

- ولكنني أتألم بشدة من كل ما جرى معي، وأشعر أن هذا الألم يخنقني أحياناً!
كل لحظة كانت لي في ذلك المكان كانت بؤرة ألم وهوان تركا أثرهما في نفسي!

ابتسم الشيخ بتفهم، ثم سأله بلطف:

- تمام، وبعد ذلك؟

قال "محمد" مستغرباً:

- عفواً.. لم أفهم!

نظر الشيخ في عينيه بجدية، ثم قال:

- إلى متى ستبقى تمارس الألم؟! إلى متى ستسمح له أن يعكر صفو ما تعيشه الآن
في رحاب الإسلام والجهاد والعزة؟!

نكس "محمد" رأسه، فوضع الشيخ يده على كتفه بحنان، وتابع:

- اسمع يا "محمد"، ما مررتَ به لم يكن سهلاً، ولكننا لن نبقي ذاهلين حزاني إن
تهدّم البيت، إنما سنبنّي من أحجاره وأنقاضه بيتاً أجمل بعون الله تعالى، ولئن حاول
الصليبيون مسح هويتك واستعبادك لما ربهم ومصالحهم؛ فإن الله عز وجل منّ
عليك وانتشلك من بينهم، وهو سبحانه كفيل بأن تترمّم كسورك وتطيب
جروحك، فاستغل ذلك وكن قوياً، خلص نفسك من آلامها بطرحها بين يدي الله
تعالى، وتجاوز ما فات، وركز على ما هو آت.

نظر "محمد" إلى الشيخ متمعناً في كلامه، فقال الشيخ:

- "محمد" يا ولدي؛ لقد مات الماضي وانتهى تماماً برحمة الله تعالى، أنت لم تعد "مادو"، بل ولم تكنه يوماً، أنت "محمد" المسلم الطيب، سليل أسرة مجاهدة، وطالب علم مجتهد، وستكون مجاهداً قوياً لا يشق له غبار بإذن الله تعالى وتوفيقه.

أجهش "محمد" بالبكاء، وتركه الشيخ المجاهد يفرغ آلامه، ثم ربت على كتفه، واحتضنه بأبوة خالصة، ثم رفع "محمد" رأسه، ومسح دموعه، وقال بعزم:

- نعم! صدقت يا فضيلة الشيخ؛ أنا "محمد"؛ المسلم المجاهد!

ابتسم الشيخ بسعادة، وعادا معاً إلى البقية؛ حيث كان الإفطار في انتظارهم.

(٦١)

في ذلك الصباح الكئيب، وفي قاعة اجتماع القساوسة؛ اقترب "جيمس" من "ألفرد" الذي كان يدخل شاردًا، وهمس له:

- والآن ماذا سنصنع في هذه الورطة الجديدة؟! الجيش أرسل خبراً يسأل فيه عن أسيرنا العنيد "عثمان"! وإذا ما نظرنا إلى الزنزانة وتذكرنا ما عشناه: فسنكتشف أنه ما من "عثمان"! ولا حارسي السجن أيضاً!! ما العمل يا "ألفرد"?! قلت إنك ستخلصنا من هذه المصيبة إن وقعت!

زفر "ألفرد" بضيق، وأخذ نفساً من سيجارته، ثم قال بانزعاج وسأم:
- أوه! كفى ثرثرة يا "جيمس"! لقد صدّعت رأسي فعلاً!

وسكت قليلاً، ثم تابع بضيق:

- لا تقلق، سوف أحل الأمر، وقد بعثتُ برسالة إلى بعض الأصدقاء في الوطن فعلاً.

ابتعد عنه "جيمس" وقال:

- إذا؟ هل أستطيع أن أطمئن؟!

غمغم "ألفرد" ببرود، وهو يستعد لسحب نفس جديد:

- أرجوك أن تفعل!

(٦٢)

في قرية إفريقية؛ كان المدعو "جاكينو" يشتري بعض الحاجيات في السوق، حين اصطدم به شخص طويل بلباس أسود، وقال له بأدب:

- المَعذرة!

رد "جاكينو":

- لا عليك! يحدث هذا مع الجميع!

قال الشخص الطويل، وقد مد يده إلى الكيس وأخرج منه قطعة فاكهة:

- تبدو شهية! هل ثمنها رخيص؟

ابتسم "جاكينو"، وقال:

- نعم؛ يمكنك تجربتها إذا أردت.

ولكن الرجل أعاد القطعة إلى الكيس، وابتسم بغموض قائلاً:

- لا وشكراً لك.

هز "جاكيلنو" رأسه محيياً، وانصرف إلى بيته، وبعد أن أغلق الباب؛ سارع بإفراغ محتويات الكيس؛ حيث وجد ما كان يتوقعه؛ رسالة كان فيها:

- يشتكي الناس من سوء نظافة الكنيسة، يرجى المساهمة في حل الأمر بعد عدة زيارات للاطلاع، كن بخير!

ابتسم "جاكيلنو"، ثم أحرق الرسالة، واسترخى مفكراً.

(٦٣)

في قرية أخرى؛ كان السائق "مدريدو" يمارس عمله الروتيني في انتظار الزبائن لنقلهم حيث يريدون؛ حين صعد إلى جانبه رجل طويل غامض، وقال له:

- مرحباً! كم تبلغ أجرة الراكب هذه الأيام؟!

نظر إليه "مدريدو" بطرف عينه، وقال بكسل:

- عشرة فرنكات.

زوى الرجل بين حاجبيه قائلاً:

- ألا يبدو مبالغاً مبالغاً فيه؟!

اعتدل السائق، وقال بجفاء:

- نعم! لا يبدو كذلك أبداً! ادفع أو انزل!

فتح الرجل الباب سريعاً، ثم قال:

- بل سأنزل!

دمدم السائق بانزعاج:

- زبائن غريبيون!

ثم راح يسوي مكان ركوب الرجل الطويل، والتقطت أصابعه بمهارة تلك الرسالة الملفوفة الصغيرة، وحين عاد إلى بيته قرأ فيها:

- بلغنا أن جمعيات التموين في حاجة دائمة لسائقي شاحنات، فكر في الأمر! إنه عمل ثابت على الأقل! كن بخير!

ابتسم المدعو "مدريدو"، وأحرق الرسالة، ثم راح يدرس آلية التنفيذ.

(٦٤)

في أوربا؛ تلقى الضابط "إدوارد" برقية "ألفرد" التي يدعوه فيها إلى الحضور للمعسكر؛
لحل بعض الأمور العالقة، وللاستعداد لحضور الامتحان الكبير الذي لا بد فيه
من وجوده، واستعد "إدوارد" فعلاً، وحين وصل إلى أقرب مطار من المعسكر،
ولم يكن بلباسه الرسمي زيادة في الاحتياطات؛ كان في انتظاره سائق السيارة التي
ستقله إلى الفندق، وإذا به شخص شديد التهذيب، اقترب منه وهو يقول له، بعد
أن فتح له باب المقعد الخلفي:

- هات عنك الحقيقة، وتفضل بالركوب يا سيدي!

أعجب "إدوارد" بلهجة السائق الراقية، وحركاته الأرسقراطية، وسأله:

- ما اسمك يا بني؟

قال السائق وهو خافض النظرات:

- "ألفونس مورتاج" يا سيدي.

مد "إدوارد" يده إلى جيبه دون أن تحيد نظراته عن الشاب، وتناول ورقة مكتوب فيها اسم سائقه الخاص، وقال:

- فعلاً! "ألفونس مورتاج"!

وأردف بابتسامة باهتة:

- أنت تعرف أنه لا بد من الحذر لمن هم مثلي يا بني!

قال السائق وهو يهيمّ بإغلاق الباب بعد دخول الضابط:

- لا شك في حكمتك أبداً يا سيدي!

(٦٥)

في وقت سابق..

بينما كان المجاهدون يستعدون للنوم؛ اقترب "عروة" من الأمير، وهمس بصوت خفيض:

- أخي الأمير؛ كل شيء جاهز، توقع الأمر اليوم.

ابتسم الأمير، وقال بصوت خفيض كذلك:

- أحسنت يا أخي "عروة".

و حين نام الجميع؛ كان الأمير يتمشى وحيداً وهو يذكر الله تعالى، وتفقد الجميع كعادته، إلى أن استدار ثم وقف خلف خيمته، ونظر إلى السماء متنهداً، ثم قال:

- سبحان الله! ما أروع القمر!

هبط جواره شخص ملثم رشيق الحركات كالنمر، وسأله:

- عذراً لمقاطعة خلوتك، ولكن.. لماذا يبدو القمر بديراً اليوم؟

التفت الأمير إليه دون أن يتفاجأ، وقال مبتسماً:

- لأننا في منتصف الشهر.

ظل الملثم يرمق الأمير متأملاً، ثم اقترب منه مرحباً وقال:

- أخي الأمير!

تلقاه الأمير بسعادة، وقال:

- فارسنا البطل!

- مر وقت طويل!

- صحيح، حمداً لله على سلامتك.

جلسا معاً على صخرة، وقال الأمير:

- من الجيد أن وصلتك رسائلي، لا بد من التحرك السريع.

هز الملثم رأسه قائلاً:

- فك التشفير صار أسهل من الأول بفضل الله تعالى، والحق أن تقاريركم في غاية الدقة كالعادة، وفقكم الله.

قال الأمير:

- آمين وإياكم، إذا فهل الخلايا جاهزة؟!

ابتسم الملثم وقال:

- على أتم الاستعداد، إنهم ينتظرون فرصة للعمل منذ سنوات.

ابتسم الأمير وقال بغموض:

- قد اختمر الأمر، وبات عجينا بين أيدينا بعون الله تعالى.

والتفت إلى المثلث وقال:

- لكن وجههم إلى الالتحاق التدريجي بالمكان الواحد، على ألا تكون الفترات الزمنية متقاربة، لا أريد أية ثغرة.

قال المثلث:

- نعم بعون الله تعالى، اطمئن يا أخي الأمير.

قال الأمير:

- وما أخبار الخلايا هناك؟ هل من أحد سيستقبل الغراب الطائر؟

ابتسم المثلث وقال:

- خير استقبال يا أخي الأمير.

وضع الأمير كفه في كف المثلث، وقال بسعادة:
- ممتاز! على بركة الله تعالى، حفظكم الله جميعاً، وسدد خطاكم.

قال المثلث:
- وإياك أخي الأمير.

يتبع ...

